

الكتاب المدرسي يعرقل بيداغوجيا الإدماج

مشروع جيل مدرسة النجاح يعتمد كتباً متجاوزة والمدرس مطالب بوضع تخطيط مرحلي لإرساء الموارد اللازمة للكفاية

للكتب التي ظلت تطبع منذ بداية «عهد التعددية»، أي حوالي 8 سنوات، دون أن تلتزم بدفتر التحملات أو تتجدد أو تقوم. وبقيت، حسب مجموعة من الأساتذة والمفتشين ومكوني مراكز التكوين، لا تحمل من منهجية المقاربة بالكفايات إلا الاسم، إذ أعرب عدد كبير من الأساتذة الذي خضعوا للتكوين المستمر حول التدريس بالكفايات عن استغرابهم لأن مصوغات التكوين بالمقاربة بالكفايات بسبب اختلاف عن مقاربة الأنشطة التي تتضمنها الكتب المدرسية ظلت تقليدية تعتمد على بيداغوجية الأهداف المغلفة بالمقاربة بالكفايات، رغم أن سلطات التربية والتكوين هي التي التزمت بتنظيم عملية مراجعة البرامج والمناهج بتنسيق وتشاور وتعاون مع كل الشركاء التربويين والاقتصاديين والاجتماعيين...

شكل تطبيق بيداغوجيا الإدماج في المدرسة المغربية منعطفا جديدا لأجراء فعليه لمخططات البرنامج الاستعجالي الذي يشهد، السنة الجارية، التطبيق الفعلي لمجالاته المتعددة التي تروم إضافة نوعية إلى منظومة التربية والتكوين.

وتعتبر بيداغوجيا الإدماج الإطار المنهجي والعملية لتطبيق المقاربة بالكفايات التي خلقت نقاشا بين الباحثين في مجال التربية، إذ طرح أكثر من سؤال حول مدى نجاعتها في إعطاء العدة الكافية لتلاميذ المستقبل لمواجهة الوضعيات المختلفة التي يواجهونها في الحياة العملية.

وظلت العديد من الهيئات التعليمية العاملة ميدانيا بقطاع التعليم المدرسي بجميع أسلاكه، توجه انتقادات عديدة

تعدد الكتب المدرسية لا يساير بيداغوجيا الإدماج

تعدد المؤلفات المدرسية المفروضة وتعارض محتويات بعضها مع الوضعيات الإدماجية ومطالبة بإعادة نظر جذرية فيها

تعدد التأليف المدرسي يكرس الفوارق الطبقية والمجالية

لم يجد فاعلون في الحقل التربوي، في تعدد الكتب المدرسي وتنوعه، أي خدمة للعلمية التعليمية، بل مجرد «إجراء» خلفيات اقتصادية تهلك جيوب الآباء وتميز بين أبناء القرويين والحضرين منهم، بشكل يضع بيداغوجية الإدماج عكس الجانب النظري للمخطط الاستعجالي وأهدافه المسطرة «بعيدا عن واقع بتعقيدات كبيرة، ما يجعله تصعب أننا أمام أرقى نظام تعليمي في العالم، يقول أستاذ لمادة الرياضيات رفض الكشف عن هويته. «الواقع بعيد كل البعد عن الأدبيات البيداغوجية والأهداف المسطرة. وتعدد الكتب في حقيقته، لعبة اقتصادية ليس إلا، إذ عوض العمل مع مطبعة وحيدة ارتفع العدد، 4 مرات وما يترتب عن ذلك من دفع عمولات من أجل تمرير الصفقات» تقول المعلمة فاطمة الزهراء العابدي التي تؤكد أن التعدد «لم يرفع مردودية التعليم خاصة على المستوى التحصيلي، رغم مرور 8 سنوات على تطبيقه، ما ساهم في ارتفاع الهدر المدرسي وبرز مشاكل تعليمية جديدة». وأشارت إلى أن من نتائج هذا الوضع، لجوء الطبقة المتوسطة للتعليم الخصوصي، اعتقادا منها أنه يعتمد على برامج وكتب مدرسية أنجبية وحدها أو موازاة مع البرامج الوطنية، مؤكدة أن تعدد الكتب المدرسي «مسألة سطحية» وتعدّد لأجل التعدّد، رغم أن «الأهداف المسطرة تدعم الجهوية ومضمونها ملانما لحيط التلميذ، إذ تعيب حاجة التلميذ القروي للحديث عن الممار لعدم معرفته به»، ما يخالف حقيقة الدعوة إلى المعرفة الشاملة. وقالت: «أهم أدوار المدرسة، فتح الآفاق أمام التلميذ للاطلاع على العوالم باعتبارها نافذة على العالم الخارجي»، مؤكدة أن «تقسيم التعامل بالكتب التعدد لا تأخذ بعين الاعتبار في تطبيقه، خصوصيات الكتب المدرسي لغايات التواصل بين الوزارة والنيابات وبدليل وجود كتابين للغة العربية أحدهما وضع على أساس متابعة التلميذ لتعليم أولي في مركز حضري، والثاني يقدم البرنامج على أساس أن التلميذ القروي لم يلق هذا النوع من التعليم». واستغربت فاطمة الزهراء، لتقسيم التعامل بالكتب باعتباري المجالين القروي والحضري كتقسيم إداري ليس إلا، مؤكدة أن «هذه حالة مأساوية»، مضاربة إلى التباين الكتب المعمدة في التدريس بين مركزي الهياكل والمنزل بإقليم صفرو القروي بطبعه، بينما قال محمد السطلي فاعل حقوقي مهتم بالشأن التعليمي، إن «المناهج والكتب المعتمد عليها في السنين الأخيرة قبل وبعد المخطط الاستعجالي والميثاق الوطني للتربية والتعليم، سبب في تدني المستوى التعليمي». وأكد أن اختلاف المناهج بين منطقة وأخرى، «طامة عطلى للمدرس والمدرس تتضاف لتدني المستوى التحصيلي لتسبب المواد وافتقار الأخرى لمواد ذات طابع تعليمي جيد، ما ساهم في نزول معدلات النجاح إلى 8 و 20 في حين كان لا يقل عن 10 في السابق»، مطالبا بتصحيح الأوضاع من خلال الاعتماد على مناهج في المستوى للرتقي بالتعليم، خاصة الابتدائي منه الذي يعتبر نقطة انطلاق التلميذ، نحو الجيد أو الأسوأ.

ويضيق التعدد في الكتب المدرسي، بيداغوجية الإدماج رغم التطبيقات التي جاء بها المخطط الاستعجالي وقبلة الميثاق الوطني للتربية والتكوين، بل إن بعض المدرسين يؤكدون على تكريس الكتب المعتمدة لنزاياد الفوارق الطبقية والمجالية، وتدني المستوى التحصيلي، مشيرين إلى خطر يهدد العملية التعليمية في ظل «واقع الهروب إلى الأمام ومحاولة إقناع النفس بالسبيل العادي والطبيعي للرتقي بجودة التعليم ومدرسة النجاح». وفي ظل هذا الوضع يبقى التلميذ المغربي، يعيش في تيه واضح بين مفاهيم المدرس والواقع الذي يحياه، ما يؤرق الفاعلين التربويين الذين يعلقون الأمل على تنسيق جهوي وطني لإيجاد تصور موحد حول الكيفية الإجرائية لتطبيق وتدعيم هذا الوضع مراعاة لبدء تكافؤ الفرص من خلال توحيد التصورات، اعتبارا لكون الكتب المدرسي «دعامة ديداكتيكية رئيسية في العملية التعليمية التعلمية. وتعدد يضع بيداغوجية الإدماج،

وعلى عكس هذه الآراء التفاضلية إلى حد ما، خاصة أمام واقع التباين وعدم الانسجام في بعض الوحدات بين الهدف الوطني والأنشطة التكوينية «ما يتطلب تداركه حتى لا يتحول التأليف إلى ميدان لتهاوت المؤلفين في حساب الجودة والرتقي بالتعليم»، يثني بعض المتحمسين لتعدد الكتب المدرسية المعتمدة، على الظاهرة اعتبارا لمساهمة بتنوع المقاربات، وتحقيق منافسة شريفة بين المؤلفين لتقديم الأفضل بخدمة الجودة.

وتبرر هذه الفئة حماسها لإقرار برامج الميثاق الوطني للتربية والتكوين «النتيجة صلاحية»، بتعدد الكتب المدرسية الخاصة بالفوارق الدراسية في المؤسسات التعليمية، الذي لفته البرنامج الاستعجالي، بكون التعدد «يتيح المجال للمنافسة التي تطمح إلى رفع الجودة» على أساس تقييم تجربة التعدد في انتظار النتائج التي على ضوئها «سيتم اختيار الاستمرار في التجربة من عدمه».

المراجع المدرسية الحالية لا تصلح لجيل مدرسة النجاح

مشروع جيل مدرسة النجاح لا يوظف بيداغوجيا الإدماج ويعتمد على كتب متجاوزة

أن تلتزم بدفتر التحملات أو تتجدد أو تقوم، وظلت، حسب مجموعة من الأساتذة والمفتشين ومكوني مراكز التكوين لا تحمل من منهجية المقاربة بالكفايات إلا الاسم، إذ أعرب عدد كبير من الأساتذة التي خضعوا للتكوين المستمر حول التدريس بالكفايات عن استغرابهم لأن مصوغات التكوين بالمقاربة بالكفايات بسبب اختلاف عن مقاربة الأنشطة التي تتضمنها الكتب المدرسية ظلت تقليدية تعتمد على بيداغوجية الأهداف المغلفة بالمقاربة بالكفايات، رغم أن سلطات التربية والتكوين هي التي التزمت بتنفيذ عملية مراجعة البرامج والمناهج بتنسيق وتشاور وتعاون مع كل الشركاء التربويين والاقتصاديين والاجتماعيين. وتشرف على إنتاج الكتب المدرسية والمعينات البيداغوجية وفق مقتضيات المنافسة الشفافة بين المؤلفين والمبدعين والمناشرين، على أساس فائز تحملات دقيقة مع اعتماد مبدأ تعددية المراجع ووسائل الدعم المدرسي.

ويتساءل الرأي العام التعليمي، ما إذا كان الكتاب المدرسي الحالي البد الأساسية في احتلال المغرب للرتبة 106 على مؤشر تطور التعليم ضمن 128 بلدا شملها تقرير اليونسكو لعام 2009، وصنف ضمن الخمس دول الأكثر تخلفا في العالم العربي، إلى جانب كل من موريتانيا واليمن وجيبوتي والعراق.

ولا يصل حاليا في بجوحة سيروية الإصلاح سوى 13 تلميذا إلى البكالوريا، من بين 100 تلميذ بلجبون المدرسة، ثلاثة منهم فقط لا يكرون المستويات الدراسية. وتنتهم فاعلمات تربوية وشركاؤهن من جمعيات الآباء وزارة التربية الوطنية بأنها جعلت الكتاب المدرسي يخضع للائقطة التجارية والتكوين، بل يتم فرضها اشتراكا، «مضرة بالأساسيات التعليمية» وتشتد في توصيلها للمواطنة الوطنية باعتبارها شريكا أساسيا في تطوير الكتاب المدرسي» كما قالت زكية العراقي، مديرة المناهج بالوزارة، في أحد حواراتها في الصحافة.

محمد إبراهيمي (أكادير)

(قدرات ومهارات ومعارف) المبتوثة في بعض الكتب المدرسية. هذا دون الحديث عن تناقضات وتعارضات في مفاهيم ومصطلحات جل الكتب المدرسية المقررة مع الجهاز المفاهيمي لبيداغوجيا الإدماج، وهذا معناه أن آخر التحليل، أن هذه الكتب تستعمل عاملا معرقلا لعملية تكوين الأساتذة على بيداغوجيا الإدماج وستعوق تأسيس وترسيخ هذا الاختيار البيداغوجي بالمدرسة المغربية.

إن ما يدل على أن الوزارة معمنة في ركوب الخطأ نفسه، هو الإجراء الأخير الذي أرسلت بشأنه الأكاديميات الجهوية، والمتنقل في طلب جميع تقارير تتضمن ملاحظات (أخطاء) حول الكتب المدرسية بغرض العمل على تصحيحها وتعديلها، في وقت كان ينتظر فيه المهتمون بالشأن التعليمي دعوة إلى إعادة نظر جذرية في هذه المؤلفات، بما يجعلها تستجيب للاختيارات الجديدة، وتفسح المجال واسعا أمام الأساتذة والآباء لاختيار الأنسب منها دون قيود أو فرض مسبق.

الإدماج يتوسل حلا

إن اختيار بيداغوجيا الإدماج، باعتبارها مقاربة لإعطاء التعليمات معنى ودلالة، يلاقي ترحيبا واستجابة واسعين بالنظر إلى نبل الإجماعي وفاعلية الاختيار نفسه، بما تمثله بيداغوجيا الإدماج من نزوع نحو تفعيل مبدأ اعتبار التربية والتعليم حقا وليس مادة للاستهلاك. بيد أن جل المعنيين بامر تفعيل هذا البيداغوجيا يضعون شروطا يلزم توفيرها من أجل أن تجد الطريق السليم لتفاتها وإرسائها ضمن مكونات العملية التعليمية – التعلمية، وفي مقدمة هذه الشروط المراجعة الجذرية والشاملة للكتب المدرسي، بما يتواءم مع هذه البيداغوجيا في مفاهيمها وإجراءاتها، ودون تحقيق هذا المطلب فلا داعي إلى التعويل كثيرا على بيداغوجيا الإدماج في الارتقاء بجودة التعليم.

عبد الكريم مفضل



(أرشيف)

المخطط الاستعجالي. لكن من الواضح أن وزارة التربية الوطنية تستمر في الخطأ المرتكب منذ البداية، إذ تواصل فرض كتب مدرسية لا تلقى الحد الأدنى من التجاوب المطلوب من قبل الأطر التربوية، والممارسين بالتحديد، ولا تتلاءم في بعض محتوياتها مع مقتضيات ومتطلبات بيداغوجيا الإدماج التي يجري تجربتها حاليا، ويجري تكوين الأساتذة عليها في أفق تفعيل مبدأ اعتبار التربية والتعليم تعميمها في الموسم الدراسي المقبل. لقد أفرز تجريب بيداغوجيا الإدماج في عدد من المؤسسات المتنقاة، وفي جميع مؤسسات أكاديميتين جهويتين مجموعة من الملاحظات، أهمها تعارض عدد من الوضعيات الإدماجية التي يتضمنها «لدليل الوضعيات الإدماجية» مع الأهداف التعليمية

للتلاميذ يدرسون في كتب تجاوزها الإصلاح

أن تؤول إلا إلى نتائج أكثر فداحة، ولأن تجربة الكتب المدرسية المتعددة المفروضة على الممارسين وصلت إلى الباب المسدود على غرار ما آلت إليه تجربة الكتاب الموحد على المستوى الوطني، بل إن ما كان يمثل مظاهر خلل في الكتاب المدرسي الواحد، تصاعف عددا وكيفا بتعدد الكتب المدرسية المعتمدة حاليا من قبل الوزارة الوصية على القطاع، فقد ارتفعت الأصوات داعية إلى إعادة النظر الجذرية في معضلة الكتب المدرسية، إما بمنح المؤسسات، دون أن يكون لأطر الأخيرة دور في التدخل في أي فرصة لاختيار أو انتقاء الكتب الأنسب إليها، حسب ادعاءات الخطاب الرسمي، عبر المذكرات والأنشطة الرسمية.

الإيمان في الخطأ

ولأن المقدمات الخاطئة لا يمكن

تطبيق بيداغوجيا الإدماج يستلزم كتابا مدرسيا ملائما

المدرس مطالب بوضع تخطيط مرحلي لإرساء الموارد اللازمة للكفاية

يرمي المخطط التجريبي لبيداغوجيا الإدماج، وفق شهادة مهتمين بحقل التربية في بلادنا، إلى تحسين التعليمات وترسيخ الكفايات لدى المتعلمين، وبالتالي فإن تفعيل الإجمالي للمخطط جاء لإعطاء جواب على سؤال محير ظل يراوح مكانه عقودا من الزمن، سيما أنه بات يشكل لغزا لدى الفاعلين والمفتشين التربويين الذين اختلفوا في تحديد ماهية الكفاية وجود تطبيقها وطرق تقيومها ومعالجتها، سيما أن المرجعيات النظرية تتباين وتختلف حسب اهتمامات كل منهم، ما جعل البرامج الدراسية نفسها تتبنى تصريفا معاييرا تجلّي في تأليف الكتب المدرسية التي تبنت تعددية في المقاربات النظرية للكفايات. وانعكست هذه التعددية المنهجية على تخطيط التعليمات، وبالتالي أصبح الاشتغال بإحدى المقاربات المرجعية للكفايات داخل التجربات الدراسية غير واضح المعالم، ما خلق ارتباكاً منهجيا يجمع خليطا من الأهداف والكفايات.

في هذا السياق، كشف محمد بوغتا، المنسق الجهوي للتعليم الابتدائي، لـ «الصباح التربوي»، عن أهمية تطبيق بيداغوجيا الإدماج في مختلف المؤسسات التعليمية، مبرزا أثرها الإيجابي على الكتاب المدرسي الذي استسلم فلسفتها الجديدة التي تمتد للتلميذ بالآليات الضرورية لمواجهة الوضعيات الصعبة التي تتعرضه في الحياة. وأضاف أن الكتب المدرسية المعتمدة في المؤسسات التعليمية التي تتبنى بيداغوجيا الإدماج، في مرحلتها التجريبية، تستلهم أهدافها من الكتاب الأبيض الذي يرسم خارطة طريق تعتمد من قبل المؤلفين لرصد الكفايات المحددة التي يراد ترسيخها في سلوك المتعلمين.

ولم يخف المصدر ذاته قلقه من بعض العوائق المنهجية التي تعترض سير المدرسين الذين لم يصلوا بعد إلى مرحلة تأهيلية تخول لهم تعاملا فعالا مع الكتاب المدرسي، سيما أن مجموعة من الموارد الخاصة بمرحلة الكفاية مشقتة في الفقر الدراسي، وبالتالي فإن المدرس مطالب بوضع خارطة مرحلي لإرساء الموارد اللازمة للكفاية لرصدها وتقديمها في وضعية ديداكتيكية مناسبة.

وأشار بوغتا إلى تدني مستوى المتعلمين في السلك الابتدائي، إذ لا يتشغل بعضهم موارد أساسية لحل وضعيات الإدماج، لذا فإن بيداغوجيا الإدماج لن تجد طريقها إلى أفهام وسلوك المتعلمين ما داموا يفقدون هذه الموارد أصلا. وذكر المصدر ذاته أن بعض التلاميذ بلغوا مستويات دراسية متقدمة، لكنهم غير قادرين على فك رموز اللغة العربية وفراة نص قراءة سليمة ما يجعل الحديث عن بيداغوجيا الإدماج لدى هؤلاء التلاميذ أمرا مستحيلا.

على صعيد آخر، اعتبر أحمد حفطي منسق جهوي لمادة اللغة الفرنسية للسلك الأكاديمية جهة تادلة، أن الكتاب المدرسي، مكون أساسي للمناهج الدراسية، منتج تربوي يخضع في بلورته إلى دفتر تحملات وطرق تربوية وبيداغوجية تستهدف كفايات ومرامي وقيما



كفائاتهم وصقل تجربتهم المهنية. — سعيد فائق (بني ملال)